(١)

تحويل القبلة دروس وعبر

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز:{سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، **وبعد** :

فقد شاءت إرادة الله (عز وجل) أن فضَّل بعضَ الشهور على بعض ، وجعل لها من المزايا ما يحث المؤمن على استثمارها بالأعمال الصالحة، وشهر شعبان من الشهور المفضلة التي يتشعب فيها الخير وتكثر فيها النفحات ، قال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ لِرَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا، لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ تُصِيبَهُ مِنْهَا نَفْحَةٌ لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا) ، والمؤمن الذي يتعرض لنفحات الله تعالى في هذا الشهر الكريم هو الكيس الفطن الذي يغتنم تلك الأيام بالطاعات والعبادات.

وإن لشهر شعبان مكانته ومنزلته الرفيعة عند النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث كان يخصه بمزيد من العبادة ، ويكثر فيه من الصيام ، فعن عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لَا يُفْطِرُ ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لَا يَصُومُ ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلَّا رَمَضَانَ ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْهُ صِيَامًا فِي شَعْبَانَ) ، ولما سُئل عن ذلك بيَّن (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أنه شهر تُرفع فيه الأعمال إلى الله (عز وجل) ، ويغفل أكثر الناس فيه عن التزود بالطاعة ، فعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ (رضيَ اللهُ عنْهُ) قَالَ: قُلْتُ: يَارَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ ، قَالَ : (ذَلِكَ شَهْرٌ

يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَب وَرَمَضَانَ ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ).

ومن الأحداث العظيمة التي وقعت في هذا الشهر المبارك ، **تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام** ، استجابة لرغبة النبي (صلى الله عليه وسلم) وتحقيقًا لرجائه.

ويُعد هذا الحدث من أبرز مظاهر التكريم الإلهي للنبي (صلى الله عليه وسلم) ، حيث استجاب الحق (سبحانه وتعالى) لرغبة حبيبه ومصطفاه (صلى الله عليه وسلم) بالتوجه في الصلاة إلى الكعبة المشرفة ، قبلة أبيه إبراهيم (عليه السلام) ، فقد كان (صلى الله عليه وسلم) يتوجه في صلاته بأمر ربه إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا وهو في المدينة المنورة ، وكان (صلى الله عليه وسلم) يتلهف شوقًا إلى نزول الوحي عليه بالتوجه إلى المسجد الحرام ، فكان يرجو الله بقلبه ، ويدعوه بلسان حاله ، موقنًا بأن ربه سيحقق رجاءه ، فاستجاب الله تعالى له ، وحقق له رجاءه ، فأمره أن يتوجه في صلاته إلى الكعبة المشرفة ، يقول الحق سبحانه:{قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ.

على أن ذلك يدل على أمرين : أولاً : عظيم مكانة النبي (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) ورفعة شأنه ، وبيان منزلته عند ربه ، ثانيًا: مكانة الكعبة المشرفة ورفعة قدرها ، وليس ذلك غريبًا ولا مستغربًا ، ألم يقل الحق سبحانه على لسان نبينا (صلى الله عليه وسلم): {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، ويقول سبحانه:{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ

عَلَيْهِمْ حَفِيظًا}، ويقول (عز وجل):{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}، ويقول سبحانه :{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}.

وقد كان لحادث تحويل القبلة أكبر الأثر في النهوض بالمجتمع والارتقاء الإنساني ؛ لما فيه من الدروس والعبر ، وإن من تلك الدروس والعبر :

أن الابتلاء والاختبار من سنن الله (عز وجل) في خلقه : فقد كان تحويل القبلة اختبارًا من الله تعالى لعباده ، ليرى مَن يتَّبعُ الرسول ممن يَنْقَلِبُ على عَقِبَيه ، ولمعرفة مدى استجابة الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) وتصديقهم لأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فقد كان التحويل من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة أمرًا شاقًّا على النفوس ، إلا على الذين هدى الله ، وذلك بتسليم الأمر لله (عز وجل) ، فإن الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، يقول الحق سبحانه:{وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}.

فالمؤمنون الصادقون في إيمانهم لم يرتابوا في أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأنهم على يقين جازم بأن كل ما جاء به رسول الله حق لا مرية فيه ؛ لذلك قالوا: سمعنا وأطعنا ، وتحولوا في صلاتهم إلى الكعبة المشرفة دون تردد ، استجابة لأمر الله (عز وجل) ، ولم ينتظروا حتى يُتموا صلاتهم!! وإنما تحولوا في الحال وهم في هيئة الركوع ، حيث أراد الله لهم.

وهكذا شأن المسلم الصادق يدور مع أمر الله حيث دار ، وحيثما اتجه فوِجْهَتُهُ

نحو الله :{وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}، وفي حديث ابن عمر (رضي الله عنهما) : (بينما الناس في صلاة الصبح بقُباء إذ جاءهم آتٍ ، فقال: إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد أُنزل عليه الليلة قُرْآنٌ ، وقد أُمِرَ أن يَستقبل الكعبة ، فاستقبلوها ، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة).

لقد علّمنا الصحابة (رضي الله عنهم) كيف نستقبل أوامر وتعاليم الإسلام بهذه السرعة استجابة لأمر الله تعالى وأمر رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، فلنتحول كما تحول الصحابة في حادث تحويل القبلة إلى منهج الإسلام بكلياته وجزئياته تحوُّل إيجابي إلى ما يرضي الله (عز وجل) ، وإلى ما فيه النفع للناس جميعًا.

أيضا من الدروس المستفادة من تحويل القبلة : **وسطية الأمة** ، فلقد أصّل هذا الحدث العظيم مبدأ وسطية هذه الأمة ، حيث يقول الحق سبحانه:{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ}.

وإن وسطية الأمة وسطية شاملة جامعة ، وسطية في الاعتقاد والتصور ، ووسطية في الشعائر والتعبد ، ووسطية في الأخلاق والسلوك ، وفي النُّظُم والتشريع ، وفي الأفكار والمشاعر ، بعيدًا عن الغلو والتقصير ، أو الإفراط والتفريط.

ثم إن شهادة أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) على سائر الأمم على قدر ما تقتضي من التكريم تقتضي أن تكون أهلاً لهذه الشهادة ، فعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ. فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ : مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ. فَيَقُولُ: مَنْ شُهُودُكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ. فَيُجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ) ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم):{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى

النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}، وقد قال سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لسيدنا عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) : (اقْرَأْ عليَّ القُرْآنَ) قال ابن مسعود: يَا رسول اللهِ ، أقرأُ عَلَيْكَ ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ ؟! قَالَ : (إِنِّي أُحِبُّ أنْ أسْمَعَهُ مِنْ غَيرِي) فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سورةَ النِّسَاءِ ، حَتَّى جِئْتُ إِلى هذِهِ الآية : { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هؤُلاءِ شَهِيدًا} قَالَ : (حَسْبُكَ الآنَ)، فَالتَفَتُّ إِلَيْهِ فإذا عَيْنَاهُ تَذْرِفَان.

فحري بنا أن نعود إلى الوسطية التي شرفنا الله (عز وجل) بها ، وأن نكون حقًّا وسطيين في جميع شئوننا دون إفراط أو تفريط ، حيث يقول الحق سبحانه : {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا}، وحيث يقول سبحانه:{وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا}، ويقول الإمام الأوزاعي (رحمه الله): "ما أمر الله (عز وجل) في الإسلام بأمر إلا حاول الشيطان أن يأتيك من إحدى الجهتين لا يبالي أيهما أصاب الإفراط أو التفريط "، ومن هنا يجب أن نكون مع التيسير والسماحة ، لا مع التسيب والتفريط ، ومع الالتزام الديني والقيمي والأخلاقي دون أي تشدد أو تطرف.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أخوة الإسلام:

من الدروس والعبر المستفادة من تحويل القبلة ، **الرباط الوثيق بين المسجد**

الحرام بمكة المكرمة والمسجد الأقصى بالقدس ، وإظهار العلاقة القوية بينهما ، حيث جعلهما الله سبحانه وتعالى شقيقين ، فالمسجد الحرام هو أول مسجد وضع لعبادة الله (عز وجل) في الأرض ، والمسجد الأقصى هو ثاني المساجد ، فعن أَبِى ذَرٍّ (رضي الله عنه) قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ في الأَرْضِ أَوَّلُ ؟ قَالَ : (الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ)، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ :(الْمَسْجِدُ الأَقْصَى)، قُلْتُ : كَمْ بَيْنَهُمَا ؟ قَالَ: (أَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ).

لقد ربط تحويل القبلة بين المسجدين كما ربط الإسراء والمعراج بينهما ، فقال سبحانه:{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} ، ومن ثم يجب حمايتهما معًا، وعدم التفريط في أي منهما ، فهما أمانة في أعناق المسلمين جميعًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولن تستطيع الأمة أن تحافظ على مقدساتها إلا بالاعتماد على الله (عز وجل) وتقواه أولاً ، ثم بوحدة صفِّها ، وبامتلاك أسباب القوة من خلال العلم والعمل والإتقان والإنتاج ، حتى تمتلك قوتها وغذاءها وكساءها ودواءها وسلاحها ، فتمتلك كلمتها وحريتها وإرادتها ، فالأمم التي لا تملك مقومات حياتها لا تملك كلمتها ولا إرادتها ولا استقلال قرارها.

على أن هناك أمرًا هاما يجب أن نتنبه له ، **وهو أن التحول ليس مجرد تحول مكاني** إنما هو اختبار للعقيدة الصلبة والإرادة القوية والثقة في الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم) ، فإذا أردنا أن يحول الله أحوالنا إلى الأفضل والأصلح في كل مجالات الحياة فعلينا أن نغير من أنفسنا بحسن التوكل على الله (عز وجل)

واللجوء إليه ، وأن نعْمَل ونكِدّ ، وأن نتحوَّل من الهدم إلى البناء ، ومن البطالة والكسل إلى مزيد من العمل والإنتاج ، ولنتحول من التشدد والغلو إلى السماحة واليسر ، ومن الجمود والتقليد إلى التأمل والتفكير ، لأن الله (عز وجل) يقول: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}.

نسأل الله العلي العظيم أن يجعلنا من المقبولين في هذا الشهر الكريم.